أحلام ضائعة لطفولة دخلت سوق العمل مبكراً!

اعداد/ عمران السعيدي
عن/ ديلي ستار

مازن طفل في العاشرة من عمره يشق طريقه وسط الحشد داخل احد اسواق كركوك وهو يرتدي قميصاً بالياً حاملاً على كتفه صندوقاً مليئاً بالآيس كريم. لم يقدم هذا الطفل اسم أبيه خجلاً وهو يقول ان عمله يجلب له يومياً ما يقارب ثلاثة الى سبعة آلاف دينار أي ما يعادل (٢– ٤ دولارات). ويقول بانه يمضي النهار باكمله يتجول وينادي على بضاعته بين المتسوقين واصحاب المحال كي يكسب هذا المبلغ ليساعد به عائلته الفقيرة كما يقول. ويضيف هذا الطفل بأنه واصل الدراسة الى المرحلة الثانية الابتدائية ثم ترك المدرسة لاسناد عائلته في منطقة الحويجة.

لم تكن لدى مازن اية رغبة او شوق للعودة الى الدراسة وعوضاً عن ذلك يتمنى ان يكون لاعب كرة قدم وليس لديه الوقت للعب هذه الرياضة الا في يوم الجمعة، اما باقي الايام فيبدأ بها يومه صباحاً ويستمر في عمله يبيع الآيس كريم حتى غروب الشمس.

وحين سألته عن لعبة كرة القدم قال: "انا افضل لاعب في الشارع والكل يعرف ذلك."

يعتبر العراق من الدول التي وافقت على قانون الامم المتحدة الخاص بحقوق الطفل عام ١٩٨٩، ولكن واقع الحال لم يطبق هذا القانون بسبب الاوضاع التي كانت سائدة ايام النظام السابق وما رافق ذلك من مشاكل نتيجة الحصار الاقتصادي على العراق في تسعينيات القرن الماضي. حيث جاءت بنتائج سلبية على ابناء العراق وخاصة الاطفال والعوائل الفقيرة وهم يمثلون نسبة عالية من عدد سكان العراق. الكثير من العوائل الفقيرة راحت تسحب اطفالها من المدارس وتدفعهم للعمل من اجل لقمة العيش.

يقول الخبراء في هذا المجال بان عمالة الطفل باقية في العراق وقد تزداد بسبب تدهور الاوضاع الاقتصادية والامنية فيه. ويذكر تقرير صادر عن القسم الحكومي في الولايات المتحدة عام ٢٠٠٥ حول حقوق الانسان في العراق ان الطفل العراقي الفقير يتسلم اقل من دولار يومياً، جاء ذلك نتيجة استبيان على مليون عائلة عراقية وذكر التقرير ايضاً: "اصبح من الطبيعي ان نشاهد عدداً من الاطفال وهم دون سن العاشرة يمارسون اعمالاً غير مناسبة لهم ويحرمها القانون."

يعمل اكثر الاطفال كعمال وقتيين في المناطق المدينية ويمكن مشاهدتهم وهم يعبئون وينقلون البضائع او صبغ الاحذية او التسول.

قصي حسين (١٢ سنة) ترك المدرسة قبل سنة ليكسب خمسة آلاف دينار في مطعم ساندويتش داخل مدينة الحويجة في كركوك. ويذكر ان عائلته نزحت الى المدينة التي تبعد ٦٥ كم غرب كركوك قادمة من اللطيفية لاسباب امنية. ويقول هذا الطفل: "انا حزين جداً لتركي الدراسة التي احبها كثيراً بسبب انتقالنا الى هذه المدينة." قال هذا وهو يقدم الشاي مع اثنين من اشقائه الذين اصبحوا مصدر الرزق الوحيد للعائلة بعد الاحداث المأساوية التي عاشوها في منطقة اللطيفية.

يقول القسم الحكومي في تقريره بأن وزارة العمل والشؤون الاجتماعية لا تمتلك المصادر الكافية في تمويل وحدة الطفل ولا يمكنها العمل الا بمساعدة الوكالات الدولية مثل هيئة تمويل الاطفال التابعة للامم المتحدة.

حسن تورهان مدير قسم العناية الاجتماعية في كركوك يعترف بان المحافظة لم تخصص اية ميزانية لمواجهة عمالة الاطفال في المحافظة ويقول ايضاً الوضع الامني السيئ والبطالة وهموم اخرى ادت الى ارتفاع نسبة البطالة في هذه المحافظة بالذات الى ٣٠٪ مع بروز واضح في ظاهرة عمل الاطفال في شوارعها. ويضيف تورهان: "ان الدعم الذي تقدمه شبكة الحماية الاجتماعية الحكومية للعوائل الفقيرة غير مرضٍ تماماً طبقاً للحالة المعقدة التي تعيشها هذه العوائل."

سعيد الدليمي ٥٨ سنة اب لتسعة اطفال يعيش في قرية صغيرة قرب الحويجة ويعاني الفاقة الشديدة وهو يعمل في الزراعة يساعده في ذلك ولداه (عمار وعمر) ١٤و ١٥ سنة واللذان تركا المدرسة قبل عامين لمساعدة والدهما في العمل يقول سعدون: "ليس لدينا الاموال الكافية لسد مصاريف جميع الاطفال ولهذا علينا التضحية بالمدارس لقسم من اطفالنا كي يستطيع الباقون مواصلة الدراسة."

اما الاقتصادي محمود الجبوري الاستاذ في جامعة تكريت فيقول: "ان العوائل التي ليس لديها مورد عالٍ تستعين بالاطفال كي تدعم عملية الحياة الصعبة. ويحذر الجبوري من الاستمرار في ترك المدارس فهؤلاء المتسربون سوف يشكلون جيلاً امياً عاطلاً عن العمل في الوقت الذي يكون فيه البلد بأمس الحاجة الى الخبراء والعلماء والمتعلمين. وان هذه الحالة ستعيق مسيرة التقدم في هذا البلد.

- مسؤول حكومي: الدعم الذي تقدمه شبكة الحماية الاجتماعية الحكومية للعوائل الفقيرة غير مرضٍ تماماً طبقاً للحالة التي تعيشها هذه العوائل.

(النهر) شارع يحتضر

زاره أنتوني كوين ومصطفى العقاد وارتبط اسمه بدجلة ويبحث الآن عن زبائن ومنقذ!

بغداد/ عبد الزهرة المنشداوي

انه شارع النهر. الشارع المحبب لدى المرأة البغدادية بوجه الخصوص، اختص بالنساء، ملابسهن، واكسسواراتهن وما استجد من عالم الازياء. كان الشارع كرنفالاً من الالوان البهيجة تضيع في اجوائه العطور وتتهادى فوقه فتيات بغداد الجميلات في الاعياد والمناسبات. لا تهدأ فيه ورش الحرفيين وتعمل حتى منتصف الليل. معامل الخياطة ومصانع الاحذية والحقائب تزود الباعة والمشتري بأجمل المنتوجات. محال التحفيات ترفد زبائنها من السياح الاجانب باسد بابل ومئذنة سامراء نماذج مطروقة على صفائح النحاس والفضة.

بصحبة الزوج

احدى النساء ممن التقينا بهن قالت: ان الاوضاع غير مشجعة للتجول في الشارع تأتيه النساء ولكن بصحبة الازواج. العديد من الاسواق المنافسة اجتذبت النساء اليها. سوق الربيعي والسوق العربي وغيرهما وفرت ما كان يوفره شارع النهر.

هذا الشارع بالامكان اجتذاب الناس اليه بسبب وجوده بمحاذاة نهر دجلة وشارع الرشيد يجعل منه مميزاً. الاهتمام بالفسحة المطلة على نهر دجلة واقامة كازينو عليها يمكن ان تجعل العوائل تتجه اليه.

بداية التدهور

زائر السوق هذه الايام لابد له ان يلحظ ان ثمة تغييرات طرأت على هذا السوق الذي كان في يوم من الايام قبلة النساء والرجال يقصدونه في الصباح والمساء ويعج بشتى السلع والبضائع اما الآن فلا يعدو كونه سوقاً حاله حال بقية الاسواق، زبائنه اليوم اقل مما كانوا بالامس. ومثلما تترك الطيور اوكارها وتطير بعيداً فان المرأة لم تعد تظهر فيه مثلما كانت من قبل ولاسباب يطول الحديث عنها.

منذ العام ١٩٩١ بدأ التدهور في شارع النهر وانقلبت الامور رأساً على عقب. فزبائن الامس تحولوا الى باعة يأتون بمصوغاتهم الذهبية والفضية ويبيعونها على اصحاب المحال فتحولنا الى مشترين. ذلك ما قاله لنا السيد ابو عبد الله صاحب محل صياغة فضيات ويواصل حديثه: كان ذلك بسبب ضعف القدرة الشرائية وتدهور الحالة المعيشية للمواطن الى ادنى مستوياتها وبالمقابل ظهر تجار وسماسرة بعثت بهم عوائل اصحاب السلطة فكانوا يجمعون الذهب من الصاغة بابخس الاثمان وفي بعض الاحيان يدفعون ثمنه اوراقاً مالية مزورة. فكان لحسين كامل تجاره المعتمدون وكذلك لـ(ارشد) اقرباء صدام وقد اشتروا بهذه الطريقة كميات كبيرة وهربوها الى خارج العراق عملت في هذا الشارع منذ زمن بعيد ولا ازال اذكر الوفود الاجنبية التي كانت تأتي للتبضع منه كان من بينهم الممثل العالمي انطوني كوين والمخرج مصطفى العقاد. (سجودة) زوجة صدام كانت من ضمن الذين يرتادون هذا السوق.

خرائب

ابو عبد الله يرى بان شارع النهر وفي هذا الوقت بحاجة الى مراجعة حالته وانعاشه ضمن خطة متكاملة. انظر الى ابنيته ما هي الا خرائب متهاوية. في بعض الدول الاقليمية والعربية انشئت شوارع للتسوق تجعل شارع النهر يتوارى خجلاً. من وجهة نظري ارى بان تزال الابنية القديمة ويقام مكانها ابنية حديثة لابراز وجه بغداد الحضاري. انتعاش السوق مرهون بالوضع الامني. العديد من التجار تركوا السوق وهاجروا.

بانتظار صاحب البدلة

فائق حمودي (٦٧) سنة صاحب محل خياطة رجالية يقول لنا: منذ عام ١٩٥٦ وانا اعمل في هذا الشارع كان العمل يستمر لدينا حتى الصباح. ورش الحرفيين لا تهدأ والآن العديد من المحال مغلقة محل خياطتي مثلما ترى خال تماماً الا من بدلة واحدة. خطتها لاحد الاطباء وانتهيت منها منذ حوالي الشهرين وافتح محلي بانتظار مجيئه لتسلمها لكنه لم يأت حتى الآن.

لا قماش ولا بدلات ولا زبائن في محل محدثنا وعندما سألنا عن سبب خلو محله قال: لم يعد العمل كما كان. الظروف الامنية والاستيراد المفتوح من دون حدود جعلنا عاطلين. ويواصل حديثه: القماش المستورد في الوقت الحاضر رخيص وبمواصفات متدنية. سعر الخياطة الآن اعلى من سعر القماش. وعن تاريخ هذا الشارع العريق يقول لنا: كما ذكرت عملت فيه مع ابي قبل ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨، وكنت ارى العديد من الشخصيات المعروفة من وزراء وادباء تأتي للتسوق اذكر ان بيت السويدي وصالح جبر كانوا من مرتاديه. الذي اعرفه عن شارع النهر بانه كان موجوداً في زمن الدولة العثمانية والشارع كان طريق الوالي الى منطقة (القشلة) التي كانت دار الحكومة.

لنا امل بان يعود الى سابق عهده. الامل معقود على انشاء حكومة يمكن لها ان تفرض السيطرة على الوضع الامني وكذلك يمكن لها ان تفرض قوانين لحماية الحرفيين واصحاب المصانع. زرت العديد من الدول ولمست التطور في منشآتها ومصانعها وعرفت كم نحن متأخرون عنها في العديد من نواحي الحياة.

زبائن لا يأتون

"لدينا حقائب عراقية راقية واحذية نسائية مستوردة" قطع السيد احمد فرج الحديث المتبادل بيننا ليستقبل زبونة من زبائنه دخلت المحل وراحت تنقب عن حذاء لها. جلست المرأة وسط المحل وراح هو يعرض عليها نماذجه ويدعوها للبسه وكانت هي تفعل ذلك. كان بودي ان اساله لماذا لا يتم تشغيل النسوة في مثل هذه المحال لكني احجمت عن ذلك.

الزبونة خرجت ولم تجد المواصفات التي طلبتها، خرجت المرأة تبحث عن طلبها في محل آخر، السيد احمد انشغل قليلاً بترتيب البضاعة وهو شاب في مقتبل العمر وبمظهر معتنى به لحية قصيرة وشارب خفيف وشعر مدهون. جلس وراء منضدته وحدثنا قائلاً:

الوضع الامني في الشارع (ممتاز) ويعود ذلك الى ان السيارات غير مسموح لها بدخوله، اعمل في مجال بيع الاحذية والحقائب منذ فترة طويلة والآن افتقد الكثير من زبائني من سكنة المحافظات. اتعامل في بيع الجملة والمفرد. بضاعتي مستوردة باستثناء الحقائب النسائية، اتوقع ان تعود الحياة الى هذا الشارع من جديد. الامر مرهون بالاستتباب الامني. نأمل خيراً في ان تشكيل حكومة دائمية سيوطد الامن والاستقرار.

امرأة تبحث عن سيف

قالت لنا متسوقة بانها من اهالي منطقة الدورة وانها لم تنقطع عن شارع النهر منذ ان كانت صغيرة في سن الشباب. هذه المرأة في مطلع العقد الرابع وتعمل معلمة التقيناها في محل احد صاغة الفضيات قالت لنا انها تبحث عن قلادة فضية يتدلى منها سيف صغير. تريد ان تبعث بها هدية لصديقة لها في خارج العراق. فحصت العديد من القطع لكنها لم تجد بغيتها وخرجت متوجهة الى محل آخر.

لا نستطيع المنافسة

حيدر الربيعي يتقدم محله العديد من الدمى على شكل نساء يرتدين ابهى الملابس. قال لنا بانه لديه معمل لخياطة الملابس النسائية الآن معروضاته من ازياء الملابس مقتصرة على الملابس المستوردة. اضطر الى ايقاف انتاجه يقول عن ذلك: لا يمكننا الدخول في منافسة مع الملابس المستوردة الآن المستورد مطلوب من المشترين اكثر من غيره. البضاعة السورية والصينية والتركية هي الغالبة. وبطبيعة الحال نضع رغبة المشتري في المقام الاول.

هذه بعض من حكايات احد شوارع بغداد المهمة في واقعه المؤلم الحالي. فهل من منقذ؟

"ما من شارع في بغداد كان يدانيه شهرةً وتفرداً. وبالرغم من كونه مكاناً للتسوق فان البعض يزوره ويتجول في ارجائه ترويحاً للنفس ولامتاع النظر بما معروض من بضاعة وحلي."

حدث و حديث

إشكالية صحفية

جاري الذي يمتهن حرفة التصوير فاجأني بطلب مساعدتي له في الحصول على هوية الانتماء الى نقابة الصحفيين وعندما شعر باستغرابي من طلبه هذا، راح يبين لي ان العديد من اصدقائه المصورين وغيرهم حصلوا على عضوية النقابة ولم يكلفهم الامر سوى دفع مبلغ بسيط لا يتجاوز بضعة آلاف من الدنانير.

قلت لجاري انا لست منتمياً لنقابة الصحفيين فزاد ذلك من دهشته ونصحني بضرورة الانتماء الى جميع النقابات والاتحادات، ووجهة نظره ان عملية الانتماء الى أي اتحاد او منظمة او نقابة لا تكلف صاحبها شيئاً لكنها في يوم ما ستجلب له منافع ربما لم تكن في حسبانه..

وقتها لم آخذ نصيحة جاري على محمل الجد فقد كانت نقابة الصحفيين بكيانها وقوانينها وآليتها محل جدل وخلاف حاد بين اوساط الصحفيين انفسهم. حتى ان اعداداً كبيرة من الصحفيين المنتمين الى النقابة كانوا يشعرون بالخجل والحرج من انتمائهم للنقابة.

في الواقع ان ما لا يعرفه جاري وربما الكثير من القراء والمسؤولين في الحكومة او منظمات المجتمع المدني وحتى الاتحاد الدولي للصحافة..

ان العشرات من المع الصحفيين والكتاب العراقيين غير منتمين الى نقابة الصحفيين.. والعديد منهم الآن يتولى قيادة اهم الصحف العراقية.

وانا شخصياً اعرف اسماء لامعة في سماء الصحافة العراقية غير منتمية الى النقابة بينهم رؤساء تحرير اهم الصحف ووكالات الانباء العراقية وصحفيون وكتاب يعدون اليوم الابرز في المجال الاعلامي لا يملكون هوية نقابة الصحفيين التي يحملها اصدقاء جاري المصور..

بغداد/ اياد عطية

احد الزملاء اقترح ان نتعامل بواقعية ونبادر بتقديم طلب للحصول على عضوية النقابة وعلينا الالتزام بشروطها والانتظار ثلاثة اعوام كي نحصل على العضوية، بعد ان فشلت كل الجهود لتأسيس نقابة او اتحاد جديد يمكن للآخرين التعامل معه بمن فيهم الحكومة والمنظمات العالمية..

ان الصحفيين وخاصة أولئك الذين يتولون الآن مراكز مهمة في الوسط الصحفي والاعلامي يتحملون الجزء الاكبر من المسؤولية في فشل بناء او اعادة البيت الصحفي العراقي الجديد ،

بعد تردد طال اشهراً وافقنا على مقترح الزميل على مضض الا ان زميلاً لنا كان يعمل خارج العراق ولم يكتب كلمة في الصحافة السابقة، ما زال رافضاً لفكرة الانتماء.. ومازلنا نحاول اقناعه.

في الواقع زميلنا يشعر بالمرارة وان الاعلاميين الذين يسعون الى الاسهام في بناء العراق الجديد هم عاجزون في الواقع عن بناء نقابة جديدة او اتحاد جديد يتناسب مع متطلبات التغيير الذي شهدته بلادنا..

زميلنا يعد طلب تقديم الانتماء الى نقابة الصحفيين بآليتها وقوانينها عودة الى الوراء وتراجعاً عن التطلعات والآمال والمبادئ التي تمسك بها جيل رائع من الصحفيين. الآن تعمل جهات في الحكومة سواء بقصد او من دون قصد الى اعادة الثقة والهيبة التي افتقدتها بعض الاتحادات والنقابات من خلال مشاريع دعم تمر من خلالها. فيما فشلت كل الاتحادات والتنظيمات الوليدة الجديدة في ترتيب البيت الصحفي وتأسيس اتحاد فاعل يحظى بثقة الصحفيين اولاً وبثقة الاطراف الاخرى ومنها الحكومة ووزاراتها ثانياً. بالطبع ان الصحفيين وخاصة أولئك الذين يتولون الآن مراكز مهمة في الوسط الصحفي والاعلامي يتحملون الجزء الاكبر من المسؤولية في فشل بناء او اعادة البيت الصحفي العراقي الجديد، لقد عجزوا بسبب صراعاتهم الشخصية وسعيهم لحصد المكاسب الآنية الشخصية في اعادة بناء البيت الصحفي او بناء مؤسسة إعلامية تهتم بشؤون وشجون اهل الصحافة والاعلام واجهضت كل مشاريعهم الجديدة، بما فيها ما يسمى باتحاد الصحفيين الذي ولد ميتاً، لانه بني على اسس شخصية. بنفس القدر فان غياب روح التعاون وتفعيل الافكار لدى نخبة مميزة للصحفيين غير المنتمين الى النقابة لاسباب مختلفة منها غياب روح المبادرة كان من اسباب عدم وجود خيمة شرعية تجمع اهل الصحافة والاعلام.. وكانت النتيجة ان فشل الآخرين اعاد الهيبة الى نقابة الصحفيين لتكسب بتحرك ونشاط وداب ادارتها المزيد من المكاسب والمزيد من الانصار والمزيد من الاعضاء الراضخين لقوانينها وآلياتها ونظامها غير المتجدد وغير المقبول من قبل حشد من المع نجوم الصحافة والكلمة الآن وبينهم زميلي الذي ليس من العدل والانصاف مساواته بجاري الذي يطلب هوية الانتساب الى نقابة الصحفيين..